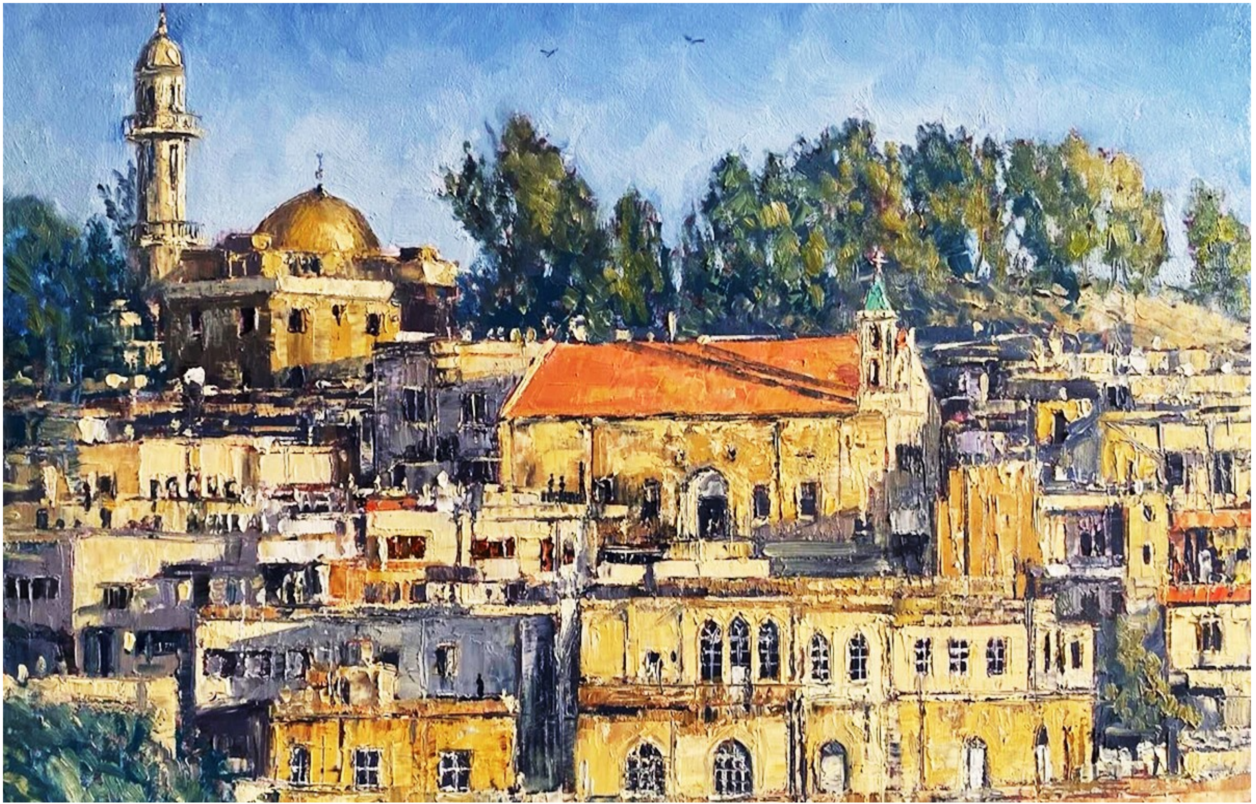
الجنوب (جبل عامل) بعيون أبنائه الشعراء

هنا باقون مثل الصخر لن نبرح/ وإن يُهدم لنا بيتٌ، وإن نُقتلْ، وإن نُذبحْ/ فهٰذي الريح موّالٌ لنا يَصدحْ/ وهذا الزرع أطفالٌ لنا تمرحْ



بالتزامن مع العدوان الإسرائيلي على لبنان، وعلى جنوبه بوجهٍ خاص، فتحت «الأخبار» صفحاتها لشعراء جنوبيين معاصرين وقصائدهم المكتوبة في مديح الأرض التي شهدت على ولادتهم، وشهدوا على ولادتها بعد كل عدوان جديد، منتصرةً، بترابها المجبول بدماء الشهداء. قصائد انطلقت من «القرية»، أول الأوطان، وأصغر حلقات الارتباط الوثيق بالأرض، لتكون مفتاح الانتماء إلى الهوية الإنسانية الأشمل. ولأن المساحة المخصّصة للملف لا تتسع لفيض البوح الجنوبي الآسر، كان لا بد من جزء ثانٍ،(رابط الجزء الأول بعنوان روائع من الشعر العاملي)

https://archive.org/details/20260521_20260521_0454

يتضمّن قصائد عن بلدات جنوبية جديدة بأقلام أبنائها الشعراء

1- حاروف

فاطمة أيوب

اذهبْ مع الدَّربِ العتيقِ

فالانحدارِ السهلِ

فالوادي المكنَّى باسمِ من عبروا

وسمٍّ على اسمِ ربَّات القصبْ..

ستدلُّك النايات..

- كيف تدلُّني؟

تحنو مع الأرياحِ خشيةَ الانكسارِ تُعلِّم الأصواتَ ما معنى الطربْ

- حسنًا وماذا بعدها؟

ما بعدها يأتيكَ منعطفٌ لطيفٌ سَرَّه طيشُ العرائش واحتمالاتٌ تُخمَّر في اعتبارات العنبْ..

وتجيءُ ساقيةٌ بلا عينينِ وجهتُها يحدِّدها الترابُ وهَمُّها خلقٌ جديدٌ ثمَّ تستدعي القِربْ

- وهل اقتربتُ من المرادْ؟

صبرًا جميلْ..

ويطلُّ - يا ربّاه من إطلالةٍ - بيتٌ يشمُّ حجارةً ويضمُّها فتضمُّه وتزيلُ عن أكتافهِ ثوبَ التعبْ..

للبابِ قنطرةٌ ملونةٌ تخصُّ الضوءَ، يأتيها صباحاً ثمَّ يجلسُ قربَ أكوامِ الحطبْ،

ليواكبَ التنورَ يشعلُ غنوةً فتردُّ أرغفةٌ تصفِّقُ بالسمارِ على اللهبْ..

يمشي على طينِ الجدارِ يلامسُ الكفَّ التي مرَّت عليه يثيرُ فيها الدفءَ يرجعُها.. نعم أعني العجبْ

- والله ذا أمرٌ عجبْ.. ماذا عن الشباكِ؟

لا أدري.. أيسعفني الكلامْ؟

شباكُه في الليل ليلٌ لا ينامُ

وفي النهارِ حكايةٌ أخرى،

ستارتُه لها متَنفَّسٌ رُبَما مساماتُ الثقبْ..
سترى قناديلَ المساءِ تلوِّنُ الليلَ البهيمَ كفكرةِ الأعمى بكلِّ تصوّرٍ،
كالظلِّ يثبتُ أنه بالضوءِ مرتبطٌ
إذا ابتعدَ ابتعدْ
وتراهُ إن قربُ اقتربْ
- أرجوك خذني خلفه
وهناك تُحتجبُ السما..
وكأنه ما من سما
تينٌ وزيتونٌ ورمانٌ وبعضُ عرائشٍ
والتوتةُ الكبرى هي الأمُّ الحنونْ
فيها الهوامشُ وثَّقت ما في المتونْ
فيها اقتباساتُ الحقبْ
بتصرفٍ أيضاً ترى أسلوبَها
فتمدُّ غصناً عابثاً في التينِ ثمَّ تهزُّه
لكنه يدري بأنَّ الغصنَ للتوتِ انتسبْ..

2- العباسية
حنان فرفور
ويقال امرأةٌ كانت من زبدِ
أو سيدةٌ من غير مجرّاتٍ تتمشّى واثقةً
في ذاكرة الأبدِ..
الصبح بأوّل ضحكتها
والليل الحافي سجّان الغيم بشارعها
ويشاغب بينهما ولدٌ
لو تدري ما يفعل رحْم مسحورٌ بالولدِ!

يا أم ويا سرب حساسين غطّت مِنْقرها

بمدامع صوفيٍّ،

وبجرن مياهٍ منذورٍ للعطشى

أحتاجكِ أن تلدي!



أن يتكاثر في جلدي بستانُ الليمون

وأن تتوغّل في رئتي أشجار الزيتون

وفي لغتي أكباش الوزال

فهل يحيا العشاقُ بلا مددِ؟



يا «العباسية »

ذا فميَ المشتاق بـ«حيّ البِرْكة » مذبوحاً من سفرٍ في الريح إلى سفر!



يا «العباسية »

تلك يدي ستفكّكُ أزرارَ صنوبرةٍ في حيّ «الحاووز» لكي لا يتعرّقَ تابوتُ الشهدا

وينام المقتولُ إلى الأبدِ!

وبحيّ «البيدر» تنعس جيناتُ القمحِ

فتبهت بشْرة فاتنةٍ سمراء..

فمن دون نبوءة ذاك الفرح لصار بعيداً

من دون العيد لصار شهيداً

سيجفُّ الكحلُ المسفوك على الرّمدِ!



يا «العباسية »

هذا لـ كان يُسمّى حيَّ الفقراء

وحَيّ «عريضٍ»،

أغنى ما فيه دعاءُ عصافير تصطفُّ على الشريان بلا عددِ!



يا «العباسية »
ما كنت أظنُّ يصير كفوراً هذا القلب..
كسيحاً هذا الفارغ منك..
يصيحُ بأوجع ما فيه:
لن يتبدّى الله جليّاً إلا في بلدي!

3- قانا
حوراء نصر الله
أَلَمْ تقرأ؟
عن الأُمِّ التي اتّسمَتْ
بِنَذرِ صيامِها ستراً عن القومِ
أشارَت نحوَ عيساها
بأمرِ اللهِ أبداها
مُكرَّمةً مُطهّرةً مُقدَّسةً عن اللَوْمِ

و «قانا» بُورِكَت فيها
إذِ العذراءُ تأتيها
وسيّدُنا المسيحُ لهُ مَزارٌ في رُبى قانا
فزادَ عُلُوَّها شاناً
وما برِحَتْ عَروسُ المجدِ أنْ جادَتْ قرابينا
بأرواحٍ وأطفالٍ «عناقيدٌ مِنَ الغضبِ»
و «تمّوزُ» الأبيُّ أمَدَّها عِزّاً شريفَ الشأنِ والنَّسَبِ

لِتُعلِنَ نَصرَها سِمَةً وناراً فوقَ كُلِّ عَلَمْ
بأنّ الأرضَ إنْ نَزَفَتْ
تثورُ لِأَجلِ كُلِّ أَلَمْ


وتبني نفسَها حُلُماً
لأبناءٍ فَدوا أُمّاً
لتبقى أرضُها أسطورةَ الإثباتِ والهيهاتْ
يُعظِّمُها الذينَ مضوا وأُوتوا في الفِدا دَرجاتْ

أيا أُنشودةً كُتِبَتْ بإعجازٍ لِكُلِّ نبي
سلاماً مِن أسى الكُرباتِ، برداً مِن لظى الحربِ
وعزمُكِ صبرُ أيوبٍ
وشوقُكِ مثلُ يعقوبٍ
لِكَوكَبةٍ مِنَ الشهداءْ
عصاكِ بنكهةِ الزيتونِ شقّتْ بحرَ كُلِّ عناءْ
يداكِ حنونةٌ بيضاءُ تمسَحُ شارةَ التعبِ
رجالُكِ بأسُهُم قاسٍ حديدٌ لا يلينُ سوى بحضنِ ديارِكِ الرّحِبِ
وفيكِ تَمَريَمَتْ أُمٌّ تهزُّ بجذعِ تضحيةٍ تُساقِطُ خيرَ شُبّانٍ بِلونِ الشمسِ والذهبِ
وفيكِ يقينُ إبراهيمْ
يقدِّمُ وُلدَهُ للهِ كَبشاً طاهِراً وعظيمْ
سماؤكِ وحيُ تنزيلٍ وقلبُكِ ليلة الإسراءْ
هديّتُهُ على الأزمانِ طائفةٌ مِنَ الشهداءْ
دِماهُم زَمزَمٌ عذبٌ بِـ«قانا» طابَ مَجراها
وبورِكَ مِنهُ سُقياها

لِـ «قانا» حُبُّنا الأسمى
نُعانِقُها ببسمَلَةٍ وحِرزٍ كُلَّ نافلةٍ
وربُّ العرشِ يرعاها
هي الفُلكُ العطوفُ
وقلبُ أولادٍ لها بحرٌ
فتجري في قلوبِهِمُ

وبسم الله مجراها ومُرساها

4- عدشيت القصير

محمد فرحات

ترى

ماذا سيفعل بيكاسو لو رآكِ

يا جارة السَّماء

هل سيرسمك لوحة أم يكتفي بصمت الأصابع الطويل

ماذا ستكون ردَّة فعل بيتهوفن عندما يسمع زقزقة عصافيرك

وبماذا سيصدح وديع الصَّافي لو زارك مرَّة

يا سليلة الجمال الخصب

والوديان المعفَّرة بالدَّحنون والدِّفلى

ونحن المسافرون في الفراغ

من يملؤنا

من يلوِّح لنا لو من بعيد

من يكتبنا صفحة في كتاب الوداع.

5- حناويه

بسّام بزّون

تسألني شمسُ الصباحِ

عن سرِّ هذا الصمتِ

كيف انطفأَ الحيُّ

واختنقَ الهواءْ..

عن صوتِ طفلٍ

كان يركضُ بينَ أبوابِ البيوتِ

كعصفورٍ نورٍ

ثمَّ غابْ..

لا طيرَ يعلو الآنَ

فوقَ شبابيكِ الحنينْ

لا أمَّ تفتحُ للندى
بابَ الدعاءِ للياسمينْ
لا ضحكةً
تنسابُ من شرفةٍ
وتوقظُ في القلبِ
أعيادَ السنينْ.
هذي خطاهُ..
ما زالتِ الأزقّةُ تحفظُها
مثلَ صلاةٍ قديمةٍ
عُلِّقتْ
في ذاكرةِ الحجرْ.
وهذي حَتّاويهْ..
تلكَ التي
كانَ اللهُ
يجلسُ في شُرفاتِها
وقتَ المغيبْ
يتأمَّلُ الزيتونَ
والأطفالَ
والنساءَ العائداتِ
بأغنياتِ الزمن الجميلْ.
حَتّاويهْ..
يا قطعةً
سقطتْ من جنَّةِ الجنوبْ
يا قمحَ أمٍّ
حينَ كانتْ
تخبزُ الفجرَ
للراحلينَ إلى الحقولْ.

أينَ المراجيحُ
التي كانتْ
تُعلِّقُ ضحكاتِ الصغارِ
على كتفِ الهواءْ؟
أينَ المواويلُ
حينَ كانَ البدر
يجلسُ قربَ أبوابِنا
ويشربُ الشايَ
مع الليل الطويلْ؟
أينَ الذينَ مرّوا هنا
وتركوا أسماءَهم
مثلَ العطرِ
فوقَ الجدرانْ؟
كلُّ الذي كانَ
نامَ طويلاً
تحتَ الركامْ..
حتى المواويلُ
تهشَّمَ صوتُها
واختبأتْ
في خوفِها
خلفَ الدخانْ.
لم يبقَ في الحيِّ
إلّا الظلالْ
تمشي على عكّازةِ التعبِ الثقيلْ
وتذوبُ
مثلَ شموعِ المساءِ
على الإسفلتِ

والطرقاتْ.

العصافيرُ رحلتْ..

حملتْ بقايا رجفتِها

ومضتْ

كأنَّ الريحَ

تطردُها من الحكايةْ.

تركتْ لنا

شرفاتِ خوفٍ

ووردةً يابسةْ

وصوتَ نافذةٍ

تئنُّ إذا مررنا قربَها

وتبكي.

لا زهرَ في الروضِ

لا همسَ فوقَ الغصونْ

حتى الربيعُ الصغيرُ

تعثَّرَ

في الطريقِ إلى البيوتْ.

يمشي الصدى

في حواري حَنّاويهْ

وحيداً

كراهبٍ

أضاعَ معابدَهُ القديمةْ.

ينادي..

فلا أحد يجيءْ

إلّا الرياحُ

تفتِّشُ

في دفاترِ الغائبينْ.

كلُّ النوافذِ
صارتْ يتامى
تنتظرُ الخطواتِ
تنتظرُ الذينَ رحلوا
ولم يرجعوا.
لكنَّ حَنّاويهْ
رغمَ الخرابِ
ورغمَ هذا الحزنِ
ما انكسرتْ..
ما زالتِ الأرضُ
تخبِّئُ
في ترابِها
وعدَ القيامةْ
وما زالتِ الحجارةُ
تحفظُ أسماءَ الشهداءِ
مثلَ تراتيلَ مقدَّسةْ.
وسيولدُ من هذا الركامِ
صوتٌ جديدْ
وتعودُ
من بينِ شقوقِ الجدارِ
سنابلُ الضوءْ.
فالأرضُ
التي مرَّ اللهُ
يوماً
من شرفاتِها
لا تموتْ..
6- حومين الفوقا

محمد علوش

أنا ابنُ التفاصيل التي لا يراها أحد..
ابنُ التراب الذي حفظ بصمتي
قبل أن أعرف اسمي
هناك..
لم أتعلم الانتماء..
كنتُ أتنفّسه.
أعرف أين يختبئ النمل
حين يغضب المطر،
أعرف الصخور التي ربّت على كتفي
كلما تعثّرت طفولتي،
أعرف النهر
حين يضحك بين الحصى،
وأعرف الطاحونة
حين تدير القمح
كأنها تُدوّر أعمار العائلة
على إصبع الزمن.



حتى الأشجار هناك..
كانت تحفظ أسراري
أكثر مما أفعل.
وشجرة الزيتون
التي كانت جدّتي تكلّمها
كما تكلِّمُ حفيداً عائداً بعد غياب.



ثم جاءت الحرب..
تحمل في جيبها خرائط للموت،

فحملنا ما تبقّى من أصواتنا،
وخرجنا
كأشجارٍ اقتُلعت
وبقي التراب عالقاً في جذورها.
ومنذ ذلك اليوم..
صرنا نحمل البلاد
كما يحمل الجرح
قطعةَ الرصاصة.
وتركنا خلفنا
الأبواب نصف مفتوحة،
الأسرّة دافئة،
أكواب القهوة على حافّة الصباح،
وضَحِكةً صغيرة
ما زالت تدور في باحة البيت
وتسأل: متى تعودون؟
ومنذها..
أحمل حومين الفوقا في جيبي
كما يحمل المؤمن سبحته،
في صوتي،
في رائحة ثيابي،
في تجاعيد قلبي.



كل صباح
أصبُّ قهوتي،
فتجلس حومين قبالتي،
وتطفو من قاع الفنجان
كما تطفو المعجزات

حين يشتدّ الحنين.



وتخرج من سواد البنّ

تلالها..

ساخنةً كأنها

ما زالت خارجة من يد الله.

فأشربها..

كمن يُقبّل أرضه

من جهة الغياب.



والله..

ما أقبلُ يداً عدوة

تقترب من ترابها شبراً،

ولا أصبعاً

يوقظ ورقةً من نومها،

ولا ظلّاً مارّاً

يجرؤ أن يخدش غيمةً

كانت تستريح فوق جبينها..

فمن يمسُّكِ..

كأنّه يضع أصابعه

في شريان قلبي.



سنعود..

لأن التراب

حين يكتب اسمك مرّة،

يقضي عمرك كلّه

وهو يناديك.

سنعود..

بعضُ الناس يحملون قراهم في الذاكرة..

وأنا،

قريتي تحملني.



فنحنُ من أولئك

الذين إذا اقتُلِعوا من أرضهم..

ظلّت جذورهم

تنزف أسماء القرى.

فمن وُلد من تراب حومين الفوقا..

لا يشيخ..

إلّا تحت ترابها.

7- النبطية

رنّة يحيى

أشـتري حزني بتبرِ العمرِ

أحترفُ البكاءَ

على الترابِ

أنا بنتُ هذا القفرِ

أشجاري مُحرَّقةً وكلُّ عواصفِ التاريخِ

تضربُ عند بابي

وفمي على الإسفلتِ ناياتُ البنفسجِ

ضحكتي ثكلى

وقلبي في رداء الطفلةِ الجوعى يفتّشُ في الروابي

في قريتي الأحلامُ قد وئدتْ

وبيتي يحضنُ الصخراتِ مرتعشاً

على سطرِ السّرابِ

«نبطيةُ» الأشواقِ داليةُ القصائد والشذى العلويِّ
سلطنةُ القِبابِ
من علّمَ الرعيانَ أنّ النسمةَ السكرى
تعانقُ بحّةَ المزمارِ
أنّ الوقتَ لا يأتي
وقد يأتي على ظـلّ الغـرابِ
من قالَ إنّ الذئبَ يجنحُ للسّلامِ مع القتيلِ
وإنّ شــهادةَ الأطفالِ تحتَ ركامِهم تُنسى
وتصفحُ للخرابِ
أنا من جنوبِ الجرحِ روحي في ازدحامِ البئرِ بالقتلى
وجرحي واثقٌ سيقومُ ثانيةَ ترابي
أنا أعجنُ الآلامَ أخبزُ للمدى خبزاً
وشعراً من نحيبِ القمحِ يشدو لليبابِ
شدّوا معي الأفلاكَ
أرضي في سماءِ الوهـمِ عالقةٌ
وأهلي في النزوحِ المرّ
أسئلتي جوابي
أنا آخرُ الصلبانِ في وجعي انكسارُ الأرضِ
تمعنُ في الغيابِ

8- كفر رمّان

جميل معلم

أرضٌ؛ تُعانقُ وجْهَ اللهِ عَيْناها
وتُلْهِمُ الغَيْمَ أنْ يَتْلو حَكاياها
تُخيّطُ الفجْرَ بالأهدابِ، تُمْسِكُهُ
منْ طَلْعةِ الشّمسِ، تَسْتجلي مَراياها
وحين تُرْخي «كَفرْ رُمّانُ» طَرْحتَها
على الحُقولِ؛ يُلبّي «النّبْعُ» نَجْواها

ربيبةُ الماءِ، تَسْتَحلي قِراءتَها
وتقطفُ الوَحْيَ عنْ أشجارِ مَجْراها
كأنّها ضِحْكةُ الأكوانِ، زَيّنَها
سَهْلٌ تَفَرّدَ في تأويلِ مَعْناها
تَخْطو على لُجّةِ الأيّامِ واثقةً
تُنازِلُ الموتَ، إصراراً، فَيَخْشاها
تُشاطئُ الصُّبحَ؛ يَرْقي عِزَّ «طُهْرتِها»
ويَسكبُ المَجْدَ منْ أعلى «سُوَيْداها»
وبينَ كَفّينِ مِنْ «صَوّانِ» دَهْشتِها
تَمُرُّ «ضَيْعتُنا»، و«العَيْنُ» تَرْعاها
في «بَيْدرِ» القلبِ يَعلو صوتُ مِئْذنةٍ
إلى «السِّيارِ»؛ هُناكَ، الْبالُ وافاها
وتَسْتريحُ «كَفَرْ رُمّانُ» فوقَ مَدًى
مِنَ القصائدِ؛ هلْ نُبِّئتَ رُؤْياها؟
تقولُ عرّافةٌ بالكَفِّ إنَّ لها
كرامةَ الأَنْبِيا؛ أَسْتغفرُ اللهَ
وَمرّةً، سَحّ، مِنْ مِنديلِها، شُهَدا
لِيُنْبِتوا النّورَ في طَيّونِ مَسْراها
وآخَرونَ رَوَوْا أَسفارَ مِنْعتِها
على الزَّوالِ؛ تعالى يومَ سَوّاها!
منْ شَهقةِ الزّعتر البَرّيّ لُقْمتُها
ومِنْ خَيالِ النّدى المُزْهَرِّ سُقْياها
كمْ أشعلَ اللهُ في زيتونِها قَبَساً!
لِيَنفَحَ الكَوْنَ شيئاً منْ ثُريّاها
تنْمو على شَفَةِ الأيّامِ أَحرُفُها
كَأُغنياتٍ تُوَشّيها خُزاماها
9- جبشيت

ديانا فحص

جبشيتُ بَدرٌ بقلبِ المُتعَبين سَمَا

على يَدَيها دَمُ الأحرارِ قد رَسَمَا

اسمٌ بَدَتْ بِفَمِ الأعداء غَصَّتُهُ

كَمْ جرَّعَ السُّمَّ مَن عادى ومَن ظَلَما

وَشم من العزِّ يومَ الفتحِ كَلَّلَها

غنَّت بنادقُها عن عَزْمِهَا نَغَمَا

إذا تَقولُ لنا هُبُّوا نُعاجِلها

فذَودُنَا حَيدرِيٌّ بِالعُلا خَتِما

كم وردةٍ قَطَفَتْ أمُّ الشَّهِيدِ لَها

ودمعُها كالنَدى بِالصَّبَرِ قَدَ حَكَما

باتت عرينَ الإِبا وَالكُلُّ يَغْبِطُها

إنِّي بِعَشِق رُباها أرتَجِي حُلْما

يا بيرَقاً قَامَ في أفيَاءِ عَامِلَةِ

منكِ الوَلاءُ ومنكِ البذلُ قد قدِما

10- الرمادية

زينة بريطع

زعموا أنكِ تحت النار

نبأٌ يخادعُ حنايا قلبي

أنتِ التي طوال العمرِ كنتِ

ما بين الوريدِ والوريد

دمعاً تحجّرْ

يا مقعداً نهشتهُ الريحُ وما تكسّر..



يقولون: صيغي المحبةَ في عقود

(كأني أملك مسبحة الزمان!)

كيف أجمع أعشاش الليالي عن النجوم؟

وكيف أقطفُ التاريخَ عن «دير العصافير»؟



يقولون إنكِ تحت النار
يكذبون. «رماديتي» هنا
صبحُها الزمردُ في أساوري
أصبحتِ داراً ضمن داري
ماذا أقول لصغاري؟



يُتعبنا الشتاتُ يا سُلطانة المكان
فهلّا مررتِ برزخاً أبديّاً؟
وملاكُ الضوءِ يسألُ السماءْ
عن خطيئة المنازلْ
تغسلينها بكل ما أوتيتِ من عطش الجداول



وعلى بُعدِ سنابل
أقاسمُك خبزَ المسافة المالحْ
إذا زعموا أنكِ تحت النار
تمطركِ الذاكرة
فأحملُ مفاتيح الحدائقْ
ليس لي بابٌ سواكِ
يا بلاداً لم تزل
تختبئُ في صوتِ أمي
حين تُنادي..

11- أنصار

فاطمة الساحلي

أشتاقُ زيتونَكِ الميّاسَ والشّغفُ
يهفو إليكِ وزيتَ الحبِّ يغترفُ

إنّي أراكِ بعينِ الشّوقِ دامعةً
ترجينَ عودتَنا والغصنُ يرتجفُ
لا ليسَ خوفاً ولا رعباً ولا فزعاً
لكنّما الفننُ التّواقُ يلتهفُ
كلُّ المواسمِ والأغصانُ نضرتُها
تصبو إلى ثَمَرٍ بالعزِّ يُقتطفُ
أنصارُ يا مجدَنا المغروسَ في أملٍ
يقتاتُ من زيتِها الوجدانُ والشّرفُ
أنصارُ كم أشتهي طعمَ اللّقاءِ وكم
يسري بأوردتي الدّحنونُ والسّعَفُ
يا حلوتي انتظرينا إنّ عودتَنا
بالنّصرِ عابقةٌ بالحبِّ تأتلفُ

12- عديسة

فيصل الأشمر

عديسةُ
أولُ الأسماء الجميلة
في دفاترنا الصغيرة
يوم كنا نحبو على سجاجيد المنازل
أولُ الأسماء التي كتبناها
على الألواح وطاولات المدارس
حين تعلمنا
كيفَ يفيضُ القلبُ بالعشقِ
وكيفَ تصيرُ التلالُ
أمّاً ثانية.



عُديسةُ
نجمةٌ على كتفِ الجنوب،

عنقودُ ضوءٍ يتدلى
بين عناقيد القرى
يوم كنتُ نحلةً صغيرةً
تمتصّ رحيق زهورها
وأجري خلف فراشاتها
بين زيتونات كَرم جدي وتيناته
يوم كنت أظنّ الكون ينتهي
عند آخر منازلها
عند آخر شجراتها التي تطل على فلسطينَ
وكم مرّةً رأيتُ فلسطينَ
تلوّحُ من القرب البعيد
وكم مرّةً سمعتُ الريحَ
تحملُ أسماءَ القرى
المعلّقةِ خلفَ الأسلاك.



كبرتُ وكانت وجهتي بيروت
نعم، قريبةً بيروت كانت
لكنها عندي كانت آخر العالَم
لأنك يا عديسةُ
ظللتِ تسكنينَ في الجهةِ
الأكثرَ دفئاً من الروح
كل بيوت بيروت التي سكنتُها
كانت مؤقّتةً
فأنا ما نقلتُ فؤادي حيث شئتُ من الهوى
وظللتِ الأولى والأخيرة
ووحدك كنتِ سيدة القرى.



عديسةُ
ما زلت أذكر نبات النرجس البصليّ
والزعتر البريّ والشومر والياسمين
يعبق برائحته الليلية
يفيض على شرفات الساهرين
مع نسمات الليل العليلة.
ما زلتُ أذكر أوقات الظهيرة
حينَ كانتِ الشمسُ
تنامُ على الحقول،
وكانتْ أصواتُ الطيور
تصعدُ من البيادر
مثلَ تراتيلَ قديمة.
ما زلت أذكر رائحةَ خبز الصاج
والعجينَ الذي تشكّله يدا جدتي
وصوتَ المؤذّنِ
يمتزجُ بنباحِ الكلابِ البعيدة.

عديسةُ
أيتها الجريحة الصامتة
والليل الجنوبي الموحش
التي تدنس ترابها أقدام الذئاب
ليلُك سوف ينجلي
وسوف نعود قريباً
نبنيكِ جداراً جداراً
وغرفة غرفة
وسيعود لون هنائك الذي غطّاه الغبار..
13- رشاف

زينب جفّال

تتقشّفُ الأرضُ من الزخرف
كي تُظهرَ وجهَها الحقيقيّ
وجهُ صلابةٍ يشبهُ صلاةَ حجرٍ قديمْ



رشاف الأبيّة

هي ليستْ ضيعةً على الخريطةْ
بل نافذةٌ مفتوحةٌ على يقظةِ الجنوب
ومنها يتعلّمُ الأفقُ كيف يقفُ بلا ارتجاف
وكيف يُمسكُ الضوءَ كي لا يسقطْ



هناكَ..
يمشي الصمتُ على رؤوسِ التلال
كراهبٍ يعرفُ أسرارَ الطين
وتنحني الريحُ حين تمرُّ عليها
كأنّها تمرُّ على معنىً أكبرَ من الريح



رشافُ..
شرفةُ الترابِ على حدِّ السؤال
تراقبُ الغيمَ حين يقتربُ من حدودِ الغياب
وتحفظُ في صدرِها
نبضَ الأرضِ إذا اشتدَّ عليها العطش



فيها الحقولُ لا تُشبهُ الحقول
بل تشبهُ ذاكرةً تمشي على ساقِ سنبلة
وفيها البيوتُ لا تُشبهُ البيوت
بل تشبهُ أيدياً تعلّمت أن تُمسك الضوءَ من أطرافه



وفي جبل عامل

تتّسعُ رشافُ أكثر من حجْمِها

كأنّها نقطةُ في تلال جسدِ الجنوب

إذا اضطربَ استقامَ بها المعنى



في الذاكرةِ اسمٌ يمرُّ كنسمةِ ثبات

أهلي وأبي وأخي وعمي

الشهداء

كأنّهُم يقولون للأرضِ:

كوني كما أنتِ

فإنّ الترابَ إذا وعى نفسهُ

صارَ مقاومةً لا تُهزم



رشافُ

ليستْ مكاناً للعيش فقط

بل طريقةٌ لفهمِ البقاء

أن تقفَ مثلَها

شامخاً

هادئاً

عميقاً

وكأنّك تُصغي للأرضِ وهي تفكّر

وتعلو على السماء..

جبلٌ مقدّسٌ
في راحتيه التبغ
يلهث نحو
حدود القبلة
والشهيقُ شهيدُ اللحظة
المعلّقة
تحت أظافر
تحفر في جدران القرية
حكايةَ الصبية
الذين
غاصوا في الحقول كالعشّاق
ونسوا الوقت
في جيوب آبائهم
الذين يحرثون الأرض
بمناجل الأمل
هناك
يتكور الموتُ على نفسه
كجنينٍ في نفقٍ
أوّله غصنُ دهشة
وآخره شقٌّ في ثوبِ أمٍّ
تنوحُ
وتزغردُ
وتقلب التراب بين يديها
كأنها تعيد الأرض
إلى سيرتها الأولى
وحيثُ تمدّ البيوتُ أعناقها
من بين الحطام

لتطلّ على الوديان والسهول
تُنادي الفتيان
الذين شردوا خلف ظلالهم
إن صرتم عشبًا فتعالوا
وإن صرتم جذوعَ شجرٍ فتعالوا
وإن صرتم نسيمًا فتعالوا
لكن لم يعبر ضفّتي النهر أحدٌ
هذه الزيتونة
مثل شمسٍ تغيب
في معطف المقبلين
كالنجوم
وما الليل يا حبيبي
إلا للهمس
في أذن المدى